التقرير الصحي العثماني

بقلم حضرة محمد افندي ابي عز الدين

كثر تحدث الناس في الامراض الوبائية وهبّ رجال العلم الى البحث والتنقير لعلهم يكتشفون الوسائل الواقية منها وخاضت الجرائد العلمية والسياسية عباب هذا الموضوع ووجّه الكلام خاصة الى الهواء الاصفر وقد اجمعوا رأياً على ان النظافة من اهم الوسائل الواقية منهُ فصرفوا عنايتهم اليها في كل مكان . ولما كان القطر الحجازي عرضة لهذا الوباء الوبيل صدرت ارادة الحضرة الشاهانية السنية بانفاذ لجنة اليهِ لاستقراء الاحوال الصحية فيهِ واستنباط الوسائل التي تدفع شرهُ وشر غيرهِ من الامراض الوافدة او تخفف وطأتها فنضت معمتها ونظمت بما ارتأتهُ تقريراً رفعتهُ الى مجلس الصحة العالي المؤلف من ثمانية من كبار الاطباء العثمانيين والاجانب فصوّب التقرير المذكور باتفاق الاراء واوجب السلوك بموجبهِ . وقد انتهت اليّ نسخة منهُ باللغة الفرنسية مطبوعة في المطبعة العثمانية بدار السعادة سنة ١٨٩٥ فبادرت الى ترجمتهِ مقتصراً على ما تهمّ معرفتهُ قراء المقتطف الكرام

لقد انعمت اللجنة النظر في تقرير الدكتور قاسم افندي ابي عز الدين طبيب الصحة في مكة بصدد تنظيم الادارة الصحية في الحجاز واطالت التأمل في تقرير الدكتور علي سلام افندي مندوب المجلس الصحي المصري في ما يختص بالحج سنة ١٨٩٤ واستطلعت رأي اعضائها الذين أُنفذوا الى الحجاز بتفويض سلطاني فرأت من مجموع ذلك ان من الواجب المبادرة الى استئناف التنسيق في الادارة الصحية في جميع الاماكن الحجازية التي يقصدها الحجاج وفاء لفريضة الحج الشريف . وهي تستلفت الحكومة السنية بوجه خاص الى تقرير الدكتور قاسم افندي ابي عز الدين المرفوع الى نظارة الصحة في ٢٢ ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٩٤ بشأن التدابير الصحية التي يجب اتخاذها في مكة ومنى اذ عليهِ اعتمدت وبهِ استعانت في اكمال مهمتها . وقد ارتأت تقسيم تلك التدابير الى قسمين اولها المعالجة المانعة او المقاومة للادواء وتستعمل موقتاً اثناء وجود الحجاج في الاماكن المتقدمة وفي غضون احتفالات الحج والثاني التدابير الواجب اتباعها دائماً تبعاً لمقتضى الحال ويجدر بالحكومة السنية ان تصرف معظم عنايتها اليها

التدابير اللازمة اثناء وجود الحجاج في مكة

(١) الاطباء

ان الاطباء الذين بعثت بهم الحكومة السنية الى الحجاز في العام الماضي قد افادوا فائدة تذكر فتشكر ولذلك تطلب اللجنة من الحكومة قياماً بواجب النصح في الخدمة ملتمسة ارسال اطباء نظيرهم في كل عام على ان يكون عددهم اثني عشر ثمانية منهم من اطباء العساكر واربعة ملكيون يرتبطون توًّا بالطبيب الصحي في مكة او القومسير السلطاني في الحجاز ويعهد الى الاطباء العسكريين في خدمة الحجاج وملاحظتهم اما الاطباء الملكيون فيفوض اليهم الاهتمام بالشؤون الصحية العمومية بوجه الاجمال وكلهم من دون استثناء مندوبون الى اتباع التعليمات المعطاة لهم من جانب مدير الصحة واجرائها. ويعطى كلٌّ من الأطباء الملكيين ٢٠٠٠ قرش معاشاً شهرياً وستة الاف قرش بدل نفقات سفرهم ذهاباً واياباً ويجب ان يكون هؤلاء في مكة من غرة رمضان ويكافأ من يثبت نشاطهُ وثباتهُ بتجديد انتخابهِ للحج المقبل . وتنحصر مهمة الاطباء العسكريين الثمانية في معالجة المرضى وملازمة المستشفيات ووجودهم لازم في مكة من غرة ذي القعدة على الاقل

(٢) الصيادلة

قد جادت الحكومة السنيَّة فارسلت في العام الماضي ستة صيادلة ومقدارًا وافرًا من الادوية فانشئت صيدليَّة مركزيَّة بادارة الصحة في مكة المكرَّمة عادت على الحجاج وعلى فقراء مكة بفوائد جمَّة . ويجب ان تفتح هذه الصيدليَّة دواماً وتعطى منها الادوية للحجاج مجاناً . والصيادلة الستة الذين أُرسلوا في العام الماضي من الاستانة استخدموا من غرة رمضان الى غاية مدة الحج ويفضل تعيين صيدلي دائم بمعاش الف ومئتي قرش شهريًّا بدلاً من ارسال ستة صيادلة سنويًّا . وعند ازدحام الحجاج يعين اثنان اخران معاونين لهُ على ان يحضرا مع الاطباء العسكريين المار ذكرهم ويعطى كلٌّ منهما الف قرش معاشاً شهريًّا وثلاثة آلاف قرش نفقات السفر ذهاباً واياباً

(٣) الشرطة او بوليس الصحة

يكلف هؤلاء السهر على الخطة ألَّتي ترسمها ادارة الصحة ومن اهم وظائفهم مراقبة مساكن الحجاج ومنع الأزدحام فيها وتقسيمها بالنسبة الى الاماكن ألَّتي ضمن دائرتهم . وتسهيلاً لما يتخذ من التدابير يشرع باءٌ بدءٌ في تعيين مآوي الحجاج بنمر متسلسلة ثم يعين عدد ما يسعهُ كل مسكن من الحجاج . وعلى اطباء الصحة زيارة هذه المآوي وتعهد

اماكن الازدحام وتفقدها وانشاء تقرير بما يرونهُ من الاحوال المغايرة لحفظ الصحة مع بيان ملاحظاتهم ثم تصدر الاوامر المقتضاة . وعلى الوكلاء المذكورين التشبث بتنفيذها على ان لا يلجأوا الى الحكومة المحلية الاَّ اذا تعدَّى لهم مطوفو الحجاج معارضين ومقاومين . ومن واجبات اولئك الشرطة مزيد الاعتناء سواء كان في مكة او في منى والاهتمام التام بمعاينة ما يبتاعهُ الحجاج من الطعام فان وجد فاسدًا او في حالة مضرة بالصحة أُتلف بعد اخذ رأي الطبيب فيهِ

(٤) الصندوق والمحاسبة

قد خصَّت الحكومة السنيَّة الادارة الصحيَّة بمبالغ معينة تؤدى اليها سنويًّا وبما ان طبيب الصحة في مكة رئيس تلك الادارة فهو مسؤول عن الصندوق والمحاسبات ولكنهُ نظرًا لوفرة اشغالهِ وعدم استطاعتهِ تولي هذا الشأن بنفسهِ يرى ان لا بدَّ من تعيين امين صندوق يكون مسؤولاً تجاههُ ويعين لهُ كاتب يكون مسؤولاً ايضًا في ما يتعلق بالمحاسبات ويخصص لكل منهما ستمائة قرش معاشًا شهريًّا

(٥) المستشفيات ونقل المرضى ودفن الموتى

قد انشئ مستشفى يشتمل على خمسين سريرًا لمرضى الحجاج الفقراء فكان من افضل الوسائل الَّتي استعملت اثناء الحج في العام الماضي واوفرها نفعًا وقد كانت الحاجة ماسة اليهِ . ويتضح من تقرير الدكتور قاسم افندي ابي عز الدين ان المرضى لم يعودوا يدبرون ويزحفون في الاسواق بعد انشاء هذا المستشفى . وقد فاز كل من دخلهُ بعناية مخصوصة في المعالجة . واما عن حسن المعيشة فحدث ولا حرج . فيقتضي اذًا الحفاظ بهذا البناء الذي شيد للخير العام الى ان يكمل المستشفى الاكبر المنوي انشاؤهُ . ولا مشاحة في عظم منافعهِ للعدد الغفير ممن يمرضون من الحجاج الفقراء

(٦) الاحتياطات الصحية

ان هذه الاحتياطات الصحيَّة تقتضي للقيام بامرها عددًا وافرًا من المركبات واهم واجبات الاطباء والشرطة المار ذكرهم المناظرة الدائمة والاهتمام في امر السُقيا وتنظيف كل انحاء المدينة من الاقذار وخصوصًا في مراكز التجارة والمحالّ العموميَّة ويجب رفع تلك الاقذار وطرحها خارج البلد في اماكن تعين لها ويفرز من تلك المركبات اربع عشرة لنقل الاقذار من احياء المدينة واثنتان لنقل اقذار الكنيف

التطهير

بما ان مكة عرضة للهواء الاصفر على الدوام يجب ان يكون فيها دائرة منظمة للتطهير طول السنة ولا بدَّ من آلة اخرى للتطهير نظير الآلة ٱلَّتي فيها الآن اذ قد ثبت انها اتت بفائدة تذكر غير انهُ يقتضي لهذه الدائرة ميكانيكي دائم ومتى وجد الميكانيكي هناك بصورة دائمة تستطيع المصلحة تطهير اثواب المرضى المصابين بالجدري والحصبة ٱلَّتي تكثر في مكة وقد تعوَّدها سكانها والحجاج ايضاً والفوا التطهير في اثناء انتشار الهواء الاصفر ولذلك لم يبقَ ادنى معارضة او صعوبة في استخدام وسائل الوقاية هذه

الاحتياطات في عرفات

ان الحجاج لا يبقون في عرفات اكثر من عشر ساعات ولقصر الوقت تستحيل مراقبتهم الصحيَّة فيقتصر بعد عودهم منها على مناظرة الامكنة ٱلَّتي ينقلون المرضى اليها والمحال ٱلَّتي فيها يدفنون ما يرى ثمة من جثث المرتى وبعدئذٍ يبادر الى التنظيف بما يوافق من الوسائل ويجر ماء عرفات في قناة من عين زبيدة ويصب في حوض كبير ينقسم الى خمسة حياض منفصلة وهي للشرب الناس والحيوانات ايضاً صدا عن ان الحجاج يستحمون فيها ويغسلون ثيابهم فمن الضرورة والحالة هذه ان يعتنى بوقاية ماء الشرب من اي دنس كان وصيانتهُ من كل شائبة فساد . وبعض هذه الحياض مرتفع عن وجه الارض ومنها تجر المياه في قنوات الى عيون بحنفيات فهذه الحياض يجب ان تغطى بالواح ويحظر على الحجاج الاستقاء من غيرها

الاحتياطات في منى

ينصب الحجاج غالباً مضاربهم ملاصقاً بعضها بعضاً دون مراعاة الانتظام في صفها ولهذا يكاد يستحيل اجراء المراقبة الصحيَّة وفي هذا المسلك اجحاف بالصحة تجب ملافاتهُ . ومن المعلوم ان الحجاج يتممون فريضة الحج بواسطة مطوِّفين . والحكومة السنيَّة قادرة على تقسيم وادي منى الى اقسام صغيرة يفرز لكل واحد من هؤلاء الادلاء المطوِّفين قسم بحسب عدد الحجاج الذين اخذ على نفسهِ تطويفهم ومن وراء ذلك تنتج نتيجة صحيَّة ذات شأنٍ وهي ان المطوِّف متى ايقن ان المكان المعين لهُ لا يشغلهُ غيرهُ ينطلق اليهِ قبل اليوم المعين بعشرة ايام وينصب المضارب ويرتبها ويُضحي مجبرًا على كنسهِ وتنظيفهِ مرة او مرتين يوميًّا فتتسهل للاطباء بذلك زيارة الحجاج كل ساعة نهارًا كان او ليلاً ومتى تحقق المطوف مرض احد من الحجاج الذين في عهدتهِ فعليهِ ان يخبر الطبيب بذلك

ليأمر بنقل المريض . واهم ما يجب توجيه النظر اليه من الامور الصحيّة في مني انما هو دفن الضحايا فينبغي منع التضحية بين المضارب منعاً قطعيًّا كما فعلوا في العام الماضي ولا يسمح لهم بها الاّ في خارج المحلة على مسافة معينة حيث تحفر حفر لطمر بقايا الحيوانات المتنتنة ويجب ان تطوق هذه الحفر وتحاط بكردون عسكري ولا يؤذن بنحر الضحايا خارج نطاقه. والحفر المعدة لفضلات الذبائح يجب ان يكون عمقها اربعة امتار على الاقل وتغطى بطبقة من الكلس المصول يفرش فوقها الرمل ولا يجوز نبش هذه الحفر الاّ بعد مرور ثلاث سنوات وتستخدم البغال والجحاش لنقل الاقذار فتنقل دواماً وتطرح بعيداً عن المحلة في اماكن معدة لها . وترى اللجنة ان من الواجب جر ماء عين زبيدة الواصلة الى جوار الوادي في قنوات الى ان تتصل الى محلة الحجاج في منى وقبل بلوغ الحجاج وادي منى بضعة ايام يجب ان يُعتنى بتنظيف الآبار المعدة للشرب واملائها ماء جديداً نقيًّا وتطهر الكنف العموميّة هنالك مرة او مرتين كل يوم بالكلس المصول او محلول ملح النحاس (ويلي ذلك جدول نفقات الادارة الصحيّة السنويّة في مكة بحسب التنسيق الجديد على ما هو مبين في تقرير الدكتور قاسم افندي ابي عز الدين وجملة هذه النفقات ٤٢٨٧٢٠ غرشاً)

الاحتياطات في جدّة

لأمر مشهور ان عدداً غفيراً من الحجاج يؤمون مكة مارين بجدّة وكثيرون منهم من ذوي الفاقة لا قبل لهم باستئجار منازل لمأواهم فيجلسون في الازقة وينطرحون امام دائرة الصحة وينامون في الفضاء ويملأون تلك الاماكن باقذارهم فتضر بصحة السكان وتكون ممهدة لتفشي الهواء الاصفر بين الحجاج انفسهم اذ كثيراً ما وجدت جراثيم المرض بينهم فمن الضروري اذاً منع هذا الامر المغاير كل المغايرة لحفظ الصحة واستخدام ما يجب من الوسائل لتخصيص منازل يأوي اليها الحجاج الفقراء مجاناً . لكن الحجاج يزدحمون في بعض المنازل بينما تكون الاخرى خالية وتلافياً لما ينجم عن ذلك من الضرر في مدة الوباء يجب ان يسبق فيعين عدد ما يسعهُ كل مأوى من الحجاج وهذه المحذورات تزول فيما لو تم المشروع المعروض للحكومة السنيّة وهو بناء ثُكن فسيحة منسمة يأوي اليها الحجاج مدة اقامتهم القصيرة في جدة قبل شخوصهم الى مكة وهذه الطريقة تأتي بفائدة صحيّة جزيلة الاهميّة اذ يتهيأ بها للاطباء ان يداوموا معاينة الحجاج القادمين من انحاء العالم

وان ما شوهد من التقصير والتهاون برفع الاقذار في جدة ناشئ عن تغفل واهمال ممن انيط بهم هذا العمل لقد يعنى بكنس الطرق العمومية في وسط البلد ولا يلتفت

الى الاوساخ المتجمعة على الدوام في الازقة والمضايق في سائر انحاء المدينة ومساكن بعض الفقراء وبناءً على هذا التقصير يجب ان ترتبط هذه المصلحة بمفتش الصحة في جدة فيسهر على نظافة المدينة وخصوصاً عند احتشاد الحجاج عائدين من الحج وهذه المصلحة يجب تنظيمها على اسلوب يطرد به رفع الاقذار من الازقة والمحال العمومية ونقلها بواسطة عدد كافٍ من المركبات وطرحها خارج البلد في مستودع يعدُّ لها ويجب ان توجه عناية خاصة لمراقبة ما حول مدخل مكة وخارج الجدران المحيطة بها حيث يكثر جلوس الحجاج وازدحامهم في ذهابهم الى الحج وايابهم منهُ وحيث تطرح الاقذار يوميًّا وتقام كنف من الخشب تنظف غالبًا وتطهر بالكلس المصول ويجب اقامة كنف عموميَّة نظير هذه بجانب دائرة الصحة والكمرك حيث ينزل الحجاج مع اجراء غاية الدقة في تفتيش الاسواق حيث يباع الطعام والفاكهة للحجاج . والمستخدمون لذلك يكونون على الدوام تحت سيطرة المفتش الصحي فان رأوا اصنافاً فاسدة ولحماً هزيلاً وفاكهة غير ناضجة يحظرون بيعها او يتلفونها والنفقات اللازمة لهذه الدائرة تدفع من المقبوض برسم الرسوم المعروفة بالتنظيفات

التدابير في المدينة المنوَّرة

ليس للجنة ما تقررهُ في شأن المدينة لان الحالة الصحيَّة فيها على ما يرام والحجاج لا تطول مدة اقامتهم فيها ولكن لا بدَّ من الاشارة الى وجوب الاهتمام بكل ما يلائم الصحة والاستمرار على النشاط الذي بدا من المأموريَّة حتى الآن ويجر الماء الى المدينة بقناة تحت الارض من نبع عين الزرقاء في جبل قوبا وهو غزير ومن اعذب المياه . ومن الواجب ان يكون ما حولهُ مثال النظافة وان يمنع الحجاج قطعيًّا من غسل اثوابهم فيهِ

التدابير الدائمة في المدن ٱلَّتي يتردد اليها الحجاج

ان التدابير الواجب اعتمادها بصورة مطردة في المدن الحجازيَّة ٱلَّتي يتردد الحجاج اليها تتعلق بماء الشرب والكنف وبعض المشروعات ٱلَّتي يوشر بها لغاية ردم المستنقعات ٱلَّتي في جدة وينبع ٱلَّتي ينشأ عنها ضرر جسيم بصحة السكان عموماً

ماء الشرب

ترى اللجنة ان من الاسباب الجوهريَّة بل الضروريَّة لحفظ الصحة في جدة ان يكون فيها ماء نقي . وقد كان الماء يرد اليها من ينابيع في سفح الآكام على اربعة او خمسة آلاف متر شرقيها وقد اهملت بل ذهبت ضحية اطماع جماعة قصدوا الربح فبنوا حياضاً في

ضواحي البلدة ليشرب سكانها والحجاج من مائها الآسن المضر بالصحة بعد ما يشترونهُ بثمن غالٍ. وتجمع مياه هذه الحياض مما يقع من المطر على الارض المحيطة بها وتجرف معها ما يعترضها من المواد الآلية فتستقر في قعرها . وقد حرك ذلك عاطفة حنان في الحكومة السنيَّة فاجرت منذ سبع سنين مياه احد الينابيع المار ذكرها ووزعتها على اهالي جدة بان شادت تسع مساقي عموميَّة في انحاء مختلفة وبلغ من تنازل الحضرة الشاهانيَّة ايدها الله ان شرفت باسمها هذا المشروع الخيري فسمي " العين الحميديَّة " لكن الخلل في قساطل الفخار مع تغافل اصحاب الآبار يؤدي الى تعطيل مجرى الماء في بعض الاماكن وضياعهِ وحرمان المساقي منهُ وبناء عليهِ يجب ان يجر ماء ذلك النبع بقساطل حديدية على انهُ لما كانت مياههُ غير كافية للقيام مقام الحياض وجب بذل الجهد لضم ماء الينابيع المجاورة لهُ ومتى توفرت تكثر المساقي بحيث يضحى في كل حي مسقى ثم تخصص مياه الحياض للغسل وسائر الحاجات البيتيَّة ويمنع الشرب منها ويستحسن تشكيل دائرة لمراقبة مياه الحياض وتوزيعها متى وجد الماء فيها قليلاً . وتضطر ينبع الى مياه الآبار ألتي على اربعة او خمسة آلاف متر منها واذا جرت اليها بقساطل حديد ووزعت على اربع مساقي لا سيما في محلة الحجاج يستأصل كثير من الامراض المسببة عن الماء الفاسد . ولا مجال للقول بخصوص ماء مكة والمدينة لانهُ من ينابيع جارية

الكنف

ان اهم شيء يجب النظر فيهِ من حيث حفظ الصحة في المدن الحجازيَّة ألتي يأتيها الحجاج انما هو الكنف ألتي تبعث على انتشار اوبئة مختلفة تفتك بالوف من الحجاج وسكان الحجاز. فعلى الحكومة السنيَّة ان تجعلها المحل الاول بين المسائل المستوجبة العناية والاصلاح . والمدن الحجازيَّة ما عدا مكة خلو من البواليع واقذارها تطرح في مستودعات وهي مراحيض بازاء ابواب البيوت تنصب فيها المياه القذرة وغيرها من الاقذار ومتى ظهر ان المستودع امتلأ يبادر الى حفر آخر بجانبهِ وينقل ما فيهِ اليهِ وكثيرًا ما ترشح هذه الى الازقة لعدم الاحكام في بنائها فتنبعث منها رائحة كريهة شديدة الضرر وهذا مخلّ ومنافٍ للقواعد الصحيَّة فخليق بالحكومة السنيَّة التشديد في الغائهِ واذا لم يكن مناص من هذه المراحيض فيجبر اصحابها على احكام بنائها وملطها بالملاط قبل ان تجرَّ اليها الاقذار ويكلف الذين ينزحونها ان ينقلوا ما فيها الى خارج البلدة ببراميل مسدودة سدًّا محكمًا ويطرحوها في اماكن معدة لها او يحفروا حفرًا كبيرة يلقونها فيها

ويغطوها بالكلس ويجب ان يكون بعدها اكثر من نصف فرسخ عن المدن وعن الطرق العموميَّة ألَّتي تتزاحم الاقدام فيها ويكلفون ايضاً بتطيير الكنف الخاصة والعامة يوميًّا بالكلس المصول ومحلول سلفات النحاس

المستنقعات

هذه المستنقعات جنوبي جدة وينبع وشماليهما وتتولد فيها الابخرة الوبائيَّة والعفن ومتى انضمت الى اسباب أُخرى مساعدة تنزل بالضعفاء فيصابون بحميَّات شديدة الاذى تعجل حتفهم وكثيرًا ما لا تمهلهم للاستعانة بالطبيب. واستنادًا الى التقريرات العديدة في هذا الصدد توطد اللجنة آمالها بان الحكومة تتفضل بالوسائل المناسبة لردم تلك المستنقعات المضرَّة بالصحة ويغطى ما حول ادارة الصحة في جدة بطبقة من التراب سميكة منعًا لرشح ماء البحر حين المد وصونًا لصحة الحجاج الذين ينزلون هنالك من آفات الابخرة الوبائيَّة . وقد اشتهرت عناية الحضرة الشاهانيَّة ايدها الله واهتمام الحكومة السنيَّة بجميع الوسائل الآيلة لحفظ الصحة في الحجاز فاللجنة ملؤها الثقة ان يحوز ما عرضتهُ وحسبتهُ واقيًا لصحة الحجاج تمام الرضى والقبول

علاج التيفويد الشافي

للدكتور هنري الاميركي

الوفيات بالحمَّى التيفويديَّة يجب ان تكون اقل من الوفيات بكل مرض آخر من الامراض المعدية لانها مرض بسيط العلاج سهل الانقياد . ومعدَّل الوفيات بها يجب ان لا يبلغ خمسة في المئة وقد ثبت لي بالامتحان انهُ اقل من ذلك كثيرًا .

وكلنا يعرف اعراض هذه الحمَّى على ما وصفهُ ده غستا باوضح بيان . واذا دُعينا لمعالجة مريض مصاب بها فالغالب اننا نجد حرارتهُ بين ١٠٠ و ١٠٤ بميزان فارنهيت (اي بين ٣٧٫٧ و ٤٠ بميزان سنتغراد) بحسب ما مضى عليهِ من الوقت منذ ابتداء المرض وبحسب مفاجأة المرض لهُ . ونجد البعض قد أُصيبوا بلين الامعاء والنطبل . والغالب ان الذين يصابون بهذه الحمى يعتريهم صداع مؤلم في الايام الاولى او في الاسبوع الاول من مرضهم

واول شيء التفتُ اليهِ حينما أُدعى لمعالجة مريض مصاب بالتيفويد هو نقلهُ الى غرفة